جهود فقهاء توات([1]) في خدمة المذهب المالكي
دراسة في الأعلام والموضوعات

الدكـتور أحمد جعفري
الجامـعة الإفريقية أدرار

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين و بعد :

ينفرد المذهب المالكي عن بقية المذاهب الأخرى بعديد الخصائص والمزايا التي منحته مرونة وحيوية وقدرة أكبر على التكيف مع الواقع ، فهو إلى جانب وفرة مصادره وكثرة أصوله وتنوعهما، وتوسعه في استثمار الأصول المتفق عليها يبيح لمنتسبيه الاقتداء بالمخالف في الفروع، ورفضه تكفيرهم بالذنب والهوى . و هي خصائص جعلت منه مذهبا أكثر منطقية وعقلانية في أحكامه، وواقعية في نوازله وفروعه في مختلف الأبواب، إضافة إلى وسطيته واعتداله في مجمل مواقفه وأصوله وفروعه، و كذا مرونته وسماحته ويسره في معالجة كثير من القضايا الشائكة والمشكلات المستعصية .

وهي عوامل كلها جعلت من المذهب المالكي مذهب جميع الأقطارالمغاربية تقريبا انخرطوا فيه طواعية لا كرها ومنذ قرون عديدة ، وراحوا في ذلك يدافعون عنه و بشراسة أمام كل التيارات الآنية ، والمتغيرات الزمكانية ،ويساهمون في خدمته ونشره .

ولقد كان لعلماء الجزائر عامة و فقهاء أقاليم توات خاصة دورهم الريادي البارز في هذا المجال ،حيث برز على مر العصور التي خلت عديد العلماء الذين انبروا للدفاع عن المذهب وكذا خدمته تيسيرا ونشرا وهو ما سنحاول الوقوف عنده في هذا البحث بحول الله.

وإذا كانت كتب التاريخ قد شحت علينا في كثير من الأخبار الأولية التي تعلقت بتاريخ هذا المذهب تفصيلا بهذه الديار خصوصا في القرون الثمانية الأولى ، فإن لنا في بعض الكتابات الأولية التي رشحت عن بعض المخطوطات التي وجدت بالإقليم بعضا مما يشفي غليل السائل والباحث في تاريخ هذا المذهب بهذه الأقاليم .

ولعل من أهم المصادر المخطوطة التي أرخت للمذهب في هذا الإقليم (مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام)، حيث يذكر لنا مؤلفه الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم البكري أنه في سنة (890 هـ_ 1485م) ورد ولد الباي من طرابلس وطاف بتوات ومعه عشرة من العلماء ، كل واحد منهم يحفظ خليلا وبعض أصول المذهب كالبيان والتحصيل وابن الحاجب وعلم المعاني والبيان ، وتبعهم من علماء توات في رحلتهم داخل

---

1 يشكل الإقليم التواتي حاليا تراب ولاية أدرار وبعضا من ولاية تمنراست جنوب الجزائر، وهو ينقسم تاريخيا إلى أقاليم ثلاثة حيث يقع إقليم تيديكلت جنوب مقر الولاية حالياً ،وهو من قصر فقارة الزوى بعين صالح حتى رقان، أما إقليم قورارة فهو إلى الشمال من قصر تبلكوزة شمالاً إلى قصر تسابيت جنوباً، وأما توات فهي وسط بينهما. ينظر: تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات من الأيالة السعيدة من قصور ووثائق أخرى. ص02 ، المطبعة الملكية الرباط ،1381 هـ ، 1962م، ومحاضرة الشيخ باي بلعالم ، مكتبة جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية أدرار (د،ت).

الإقليم سيدي علي بن عبد الله ، وسيدي محمد بن العالم وسيدي أمبارك بن احمد إلى بدريان بتيميمون. " (1)

ويضيف صاحب مخطوط الدرة أن الشيخ سيدي سالم العصموني بن محمد بن أبي بكر المولود سنة (810هـ_1408م) نزل بتمنطيط ، وهو الذي جاء بمقادير المكايل والموازين وضبط قوانين الشرع وسار فيها بسيرة العدل. وفي هذا إشارة أولية مهمة أيضا .

وإلى هذه الإشارات التاريخية الهامة ذكرت بعض المصادر ([2]) أيضا أن أول من أدخل مختصر خليل لتوات هو السيد ميمون بن عمر(890هـ 1485م)([3]) وذلك بعد نازلة مشهورة وقعت له مع فقهاء توات حول مسألة فقهية([4]) ،فتطلب الأمر منه السفر إلى فاس حيث وجد المسألة معروضة ومشروحة بكل تفاصيلها في مختصر خليل فما كان عليه إلا أن اشترى نسخة خطية من المختصر بأربعين مثقال ورجع بها على وجه السرعة إلى علماء توات .

كما تذكر لنا ذات المصادر أن أول من تولى شرح هذا المختصر الفقهي للشيخ خليل بالإقليم التواتي هو الشيخ سيدي أمحمد بن العالم الزجلاوي(1212هـ_1798م)([5]) ، ومن قبله فعل ذلك الشيخ سيدي عبد الكريم بن أمحمد التواتي لكنه لم يتمه. مع إشارة مهمة هنا هو أن بعض الروايات التاريخية تذكر أن قصب السبق في شرح خليل بالإقليم يعود إلى القرن التاسع الهجري مع ما فعله الشيخ الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي(909هـ_1504م)([6]) حيث ينسب إليه مخطوط في هذا المجال .

---

1 مخطوط درة الأقلام ص08 وما بعدها

2 ينظر :مخطوط : درة الأقلام ص 40 وما بعدها ، وكتاب النبذة في تاريخ توات وأعلامها .من القرن التاسع الهجري إلى القرن الرابع عشر .عبد الحميد بكري ص139. وما بعدها . ط 2 دار الغرب وهران الجزائر 2007م)

3 هو الشيخ ميمون بن عمر بن محمد قدم إلى توات من المغرب عام (809هـ) ونزل بتمنطيط وسط توات توفي سنة (890هـ). ينظر ترجمته في : مخطوط درة الأقلام ص 40 وما بعدها ، وكتاب النبذة ص 139.

4 نص المسألة " هو إذا قال بائع لمشتري بعتك أمة ثيبا فلما اشتراها وجدها بكرا " حيث أفتى بعض فقهاء توات بعدم رد البيع لأن البكر أحسن من الثيب . أما الشيخ ميمون بن عمر فأفتى بثبوت الرد وبطلان البيع لكنه لم يسند حكمه إلى مصدر معلوم مما ضعف حجته أمام مناظريه ، فما كان منه إلا أن سافر إلى فاس حيث وجد المسألة مبسوطة بحذافرها في مختصر خليل فاشترى نسخة منه وأحضرها إلى توات فكانت أول نسخة من المختصر تدخل الإقليم .

5 هو الشيخ سيدي محمد بلعالم الزجلاوي (1212هـ) ولد في قصر زاجلو المرابطين بأرض توات جنوب الجزائر وبها نشأ على يد أبيه سيدي أمحمد ، كان الشيخ أحد أعضاء مجلس الشورى بمجلس قضاء سيدي عبد الحق بن عبد الكريم التمنطيطي التواتي ، وهو ما أهله لجمع نوازل والده سيدي أمحمد وترتيبها وأضاف لها نوازل سيدي عمر بن عبد القادر التنلاني ، ونوازل سيدي عبد الرحمان بن باعومر . تنقل الشيخ الزجلاوي إلى أرض التكرور معلما ومفتيا، وبعد عودته توفي بمسقط رأسه يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر شوال سنة(1212هـ). من آثاره مخطوط النوازل في الفقه .وألفية في غريب القرآن وشرحه عليها ، وشرح مختصر خليل ، وكتاب المباشر على ابن عاشر .بالإضافة إلى تقييدات مختلفة .ينظر ترجمته في : (مخطوط تقاييد خاصة عند أحفاده بقصري زاجلو و أنزجمير . وكتاب التاريخ الثقافي لإقليم توات . ص 126 وما بعدها . وكتاب الرحلة العلية إلى منطقة توات ج/01..ص 128 وما بعدها . وكتاب سلسلة النواة ج/02..ص 09 وما بعدها. وكتاب قطف الزهرات .ص 123 وما بعدها،وكتاب النبذة في تاريخ توات وأعلامها . ص93. وما بعدها .)

6 هو الإمام سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي من كبار علماء القرن التاسع الهجري . ولد بتلمسان ودرس بها فترة من الزمن ثم انتقل إلى الشيخ سيدي عبد الرحمان الثعالبي بالجزائر العاصمة .ومنه إلى بجاية .ثم انتقل أخيرا إلى أرض توات التي حارب بها اليهود وهدم كنائسهم .ثم انتقل من هناك إلى أرض السودان واتصل بعدة أمراء وملوك لتكون عودته النهائية إلى أرض توات(ولاية أدرار) وبها توفي بالمكان الذي يحمل اسم زاويته الآن بالقرب من قصر بوعلي بلدية زاوية كنتة سنة(909هـ) .. كان للإمام دور كبير في نشر الإسلام في إفريقيا ،وترك لنا مؤلفات هامة تزيد عن الأربعين مخطوط . ينظر ترجمته في : مخطوط تقييد حول دخول العلماء إلى إقليم توات .خزانة بن الوليد أدرار.و مخطوط تقييد حول نسب الشيخ

وإلى هذا كله جاء في عدد من المصادر والمراجع أن أول من جمع نوازل تضم مجموعة من المسائل النازلة في أقاليم توات هو الشيخ سيدي عبد الرحمان بن إبراهيم الجنتوري.

كل هذا وغيره جعل الأقاليم التواتية عبر تاريخها الطويل تمتاز كسابقتها من حواضر ومدن الجزائر بنشاطها الفقهي المتميز خدمة ونشرا للمذهب المالكي السائد في الإقليم ، وقد نشط في هذا الإطار جملة من العلماء الذين أخذوا على عاتقهم تيسير أصول وفروع هذا المذهب خدمة للدين الإسلامي الحنيف ، ولم تقف جهود هؤلاء الأعلام عند حدود أرض الجزائر في نشر أصول المذهب بل تعدته إلى أدغال إفريقيا حيث كان الجزائريون عامة والتواتيون خاصة (1)من أوائل الطلائع التي أوصلت الإسلام التي تلك الديار ، وساهمت في نشره وتعميمه عبر كل تلك البقاع تقريبا ، ولنا في شخص الإمام المغيلي تمثيلا لا حصرا وما فعله في عموم غرب إفريقيا أكبر نموذج في هذا المجال .

كل هذا وغيره أيضا "جعل الجماعات التواتية عبر تاريخها الطويل من أنشط الجماعات التي سكنت الصحراء... أوصلوا أسواق شمال المغرب العربي بأسواق الجنوب السوداني عن طريق القوافل الذاهبة والآيبة ، ومع هذه القوافل اطلع التواتيون عن كثب على التيارات الثقافية والفكرية التي كانت شائعة عند عرب المشرق والمغرب .وفي نفس الوقت قام فقهاء وعلماء توات بنقل ما عندهم من علوم و معارف . "(2) كما ذكر القاضي الفع محمود كعت (3) أن كل جامعات الغرب الإفريقي ومساجده كانت خلال القرن الخامس عشر وحتى القرن السابع عشر الميلادي حافلة بالطلبة والعلماء من منطقة توات. ويضيف السعدي(4) أن قائمة العلماء المشهورين في مساجد وجوامع مدن الغرب الإفريقي ومراكزه الحضارية يشكل التواتيون من بينهم نسبة تقارب النصف . ولهؤلاء جميعا مئات المخطوطات

المغيلي في خزانة أحفاده بالإقليم .و مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام ص 19.سيدي محمد بن عبد الكريم .خزانة كوسام.و مخطوط الدرة البهية في الشجرة البكرية .ص147. الحاج محمد بلعالم .ومخطوط الدرة الفاخرة في ذكر العلماء التواتية ص 13، وأعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة .د يحي بوعزيز .ج2/ص 143وما بعدها .ط1/ 1995م دار الغرب الإسلامي . ،والإمام المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية .ص92.مبروك مقدم .ط1 1422 هـ2002م.مؤسسة الجزائر كتاب تلمسان و الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي من 400هـ إلى 1100هـ . في عهد المماليك الإسلامية غانا ، مالي ،سنغاي ، التي قامت في غرب إفريقيا بين القرن 4هـ و11م .ص107 أ.د.أبو بكر إسماعيل ميقا.مكتبة دار التوبة .ط1.1417هـ 1997م، و معجم مشاهير المغاربة .ص505.أبو عمران الشيخ وآخرون .جامعة الجزائر 1995م. و نيل الابتهاج بتطريز الديباج .ص 151. للشيخ سيدي أحمد بن بابا التنبكتي . دار الكتب العلمية بيروت .

1/ ذكر الدكتور فرج محمود فرج في كتابه إقليم توات خلال القرنين 18 و 19 م أن حضور علماء توات في العواصم العربية والإسلامية كان قوياً ، ويذكر من جملة العلماء الذين خرجوا من الإقليم التواتي وكان لهم الأثر البارز في تاريخ الحركة العلمية لكثير من الأقطار : الشيخ أبو القاسم التواتي الذي كان إماماً في جامع سنكري بتنبكتو ، و الشيخ أبو الأنوار بن عبد الكريم الذي عمل مفتياً لفترة طويلة بمدينة تمبكتو ، ومنهم الشيخ محمد بن أحمد ، الإمام والمدرس ببلدة أزواد شمال تمبكتو ، ومنهم الأديب الحسن بن محمد الذي كان يدرس في جنوب ليبيا ، ومنهم الشيخ عمر بن عبد القادر الذي كان أستاذاً بجامع القرويين بفاس، ومنهم الشيخ عبد الله بن محمد التواتي الذي كان معلماً ومفتيا بمدرسة الباي أبي الحسن علي باشا بتونس ، والذي يوجد له الآن مخطوطان لغويان بالمكتبة الوطنية بتونس الأول:(شرح شواهد العربية التي في كتاب سيبويه) وهو تحت رقم5428، والثاني:(شرح لامية الأفعال) وهو تحت رقم 8955 . إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين فرج محمود فرج . ص114 وما بعدها..ديوان المطبوعات الجامعية .الجزائر 1977م .

2 المرجع نفسه .ص 113.

3 ينظر : تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس .ص.15 .تحقيق هوداس و دلافوس.مطبعة بردين .باريس1964 .

4 ينظر : تاريخ السودان .تحقيق هوداس .مطبعة بردين .1898م

الفقهية المتواجدة حاليا في خزائن ومكتبات مصر وموريتانيا ومالي والنيجر وغانا ونيجيريا وإذا أخذنا دولة مالي وحدها كنموذج لتلك الخزائن الأخرى في تلك الدول المذكورة وجدنا بهذا البلد وحده أزيد من 280 مخطوطا فقهيا في المذهب المالكي لعلماء جزائريين تحديدا منهم قرابة ثمانين مخطوطا لعلماء تواتيين فقط .

و بالعودة إلى الحديث عن بداية الحديث عن المذهب المالكي تأليفا بالإقليم التواتي نقول إن قائمة المجتهدين هنا طويلة وطويلة جدا تبدأ في حدود علمنا من منتصف القرن التاسع الهجري تقريبا وما ينسب في ذلك للشيخين الإمام المغيلي(909هـ_1504م) والإمام سيدي سالم العصموني(968هـ_1561م)([1]) :الإمام المغيلي في مخطوطاته العديدة منها : شرحه على مختصر خليل ، تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين (2) ، الرد على المعتزلة . (3) ، شرح بيوع الآجال من كتاب ابن الحاجب ، شرح خطبة المختصر ، ما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار(4) ، مصباح الأرواح في أصول الفلاح .(5) ، المفروض من علم الفروض ، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي (6) ، ثم الشيخ العصموني وما ينسب إليه أيضا من تقييدات وفتاوى . وبعد الرجلين وما سجلاه خدمة للمذهب المالكي ونشره في الإقليم وكافة الأقطار المجاورة واصل المسيرة من بعدهما على مدار القرون التي تلت ذلك ثلة أخرى من كبار فقهاء الإقليم التواتي وأخرجوا لنا وخرجوا كبار الأئمة وعشرات المصنفات المذهبية نذكر منهم تمثيلا لا حصرا:

1. ***/ الشيخ سيدي بالقاسم(ق 10هـ_16م) المعروف ب(سيدي الحاج بالقاسم من آثاره : مخطوط بعنوان منهاج السالكين ، بالإضافة إلى أزيد من عشرة منظومات شعرية في التوحيد ، والفقه.**
2. ***/ الشيخ سيدي محمد الصوفي بن أبو أمحمد بن أحمد بن أبي بكر البادرياني أسس الشيخ سيد الحاج محمد الصوفي زاويته المشهورة ببادريان في القرن الحادي عشر بتاريخ التاسع من شهر صفر عام ثلاثة وثلاثين وألف (1033هـ _ 1624م) وكان ذلك بنص وصية مشهورة ومعلومة . له تقاييد فقهية عديدة .**
3. ***/ الشيخ سيدي عبد الكريم (1042هـ _ 1633م) بن أمحمد التواتي ولد سنة (994هـ _ 1586م) كان إماما عالما تولى قضاء الجماعة بتوات . له شرح على مختصر خليل لم يتمه ، وله مخطوط آخر شرح فيه مختصر الدماميني.**

---

1 هو الشيخ سيدي سالم بن أبي بكر بن عثمان بن أبي بكر ... وينتهي نسبه إلى الشيخ سيدي جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي (كرم الله وجهه) وابن فاطمة الزهراء (رضي الله عنها). .ولد بتلمسان سنة(882هـ) . وتولى قضاء الجماعة بتوات سنة (914هـ) .توفي بعد صلاة عصر يوم الثلاثاء السادس عشر من ذي القعدة سنة(968هـ).(ينظر : مخطوط ترجمة وجيزة لبعض علماء إقليم توات ص.07. و مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام .ص 06 .ومخطوط الدرة البهية في الشجرة البكرية .ص 31. ومقدمة سيدي البكري بن سيدي عبد الكريم بن سيدي محمد على مخطوط شرح التلمسانية في الميراث لعلي بن يحي بن صالح . وكتاب النبذة في تاريخ توات وأعلامها . ص76. وما بعدها .)

2/ توجد نسخ منه مخطوطة في خزانات توات الجزائر .

3/ توجد نسخة منه في مركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث تمبكتو مالي .

4/ توجد نسخة منه مخطوطة بمكتبة دار الكتب والوثائق القومية .القاهرة .رقم الحفظ: تصوف عربي / 920 .رقم الميكروفيلم 37425/ . وهناك نسخ أخرى في عديدة بعض خزانات توات الجزائر .

5/ حققه الأستاذ رابح بونار ، وطبع في الجزائر سنة 1968م. وتوجد نسخ منه مخطوطة في مركز أحمد بابا للبحوث بتمبكتو جمهورية مالي . غير أن مضمون المخطوط هو بخلاف العنوان وأن عنوان هذا المخطوط هو رسالة في اليهود .أما مخطوط مصباح الأرواح في علوم الشريعة وأصول الدين .ينظر مقدمة كتاب رسالة في اليهود للإمام المغيلي .تحقيق عبد الرحيم بنحادة وعمر بنميرة .ط 1 2005.دار أبي رقراق.الرباط .

6 / حققه الأستاذ عبد القادر زبايدية ، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع. الجزائر سنة 1974.

4. */ الشيخ سيدي أحمد (1078هـ _ 1667م)بن يوسف.ولد بقصر أولاد ونقال سنة(1002هـ _ 1594م) ثم انتقل إلى تنلان القديمة (رزق الله الواسع)في يوم الأربعاء الحادي عشر من شهر رمضان سنة(1058هـ _ 1648م).توفي سنة(1078هـ _ 1667م) من آثاره المخطوطة وصيته في تأسيس زاويته الشهيرة ، بالإضافة إلى بعض التقاييد المختلفة . كما تنسب له بعض المخطوطات المفقودة .
5. */ الشيخ سيدي البكري(1133هـ _ 1721م) بن عبد الكريم بن أمحمد الذي اتصل بعلماء كبار منهم : سيدي أبي عبد الله الخرشي مفتي الديار المصرية وقتها والذي تولى قضاء الجماعة بتوات سنة(1092هـ _ 1681م). له العديد من التقييدات الفقهية المخطوطة .
6. */ الشيخ سيدي عمر(1152هـ _ 1739م) بن سيدي الحاج عبد القادر التواتي ولد عام (1098هـ _ 1687م) درس بفاس و أخذ عن الشيخ محمد بن أحمد المنساوي ومحمد بن عبد الله الفلالي ، ومحمد بن ذكري الفاسي .كان عالما فقيها ونحويا .تولى التدريس بجامع القرويين بفاس وانتقل منها عائدا إلى أرض توات سنة (1129هـ _ 1717م) .وتولى قضاء الجماعة بتوات .له عديد التقاييد الفقهية.
7. */ الشيخ سيدي محمد (1160هـ _ 1747م) بن أُبّ المُزّمّري. من أكبر علماء توات تأليفا له أزيد من ثلاثين مخطوطا جلها في الفقه المالكي . من آثاره المخطوطة أزيد من ثلاثين مخطوطا في مختلف العلوم وبخاصة الفقهية نذكر منها تمثيلا :نظم(1) باب السهو من مختصر الأخضري (2) في العبادات ألفه سنة (1128هـ _ 1716م) وسماه العبقري وهو في مائة وتسعة وخمسين (159) بيتاً .مخطوط تحلية القرطاس في الكلام على مسألة الخماس (3)وموضوعه الفقه ، رد فيه على سؤال للشيخ سيدي عمر بن سيدي محمد المصطفى الكنتي(ت 1157هـ _ 1744م).
8. */ الشيخ سيدي عبد الرحمان (1160هـ _ 1747م) الجنتوري القُرَاري . من آثاره ما ذكره له الشيخ سيدي ضيف الله في رحلته ومنه : منظومة في التوحيد ، وشرحه عليها، وشرح على مختصر خليل ، وله نظم في الفرائض ، ورجز في علم الكلام، وتآليف في التصوف ، وما لا يعد ولا يحصى من الرسائل والأجوبة ردا على قضاة وقته، وله طُرَرٌ كثيرة على جميع شُرّاح المختصر وغيره ، وكذا حاشية مستقلة عن الشيخ عبد الباقي الزرقاني ، بالإضافة إلى قصائد شعرية لكنها غير واضحة من جراء ما أصابها من تلف . ونوازله التي جمعها تلميذه الشيخ سيدي محمد بن أحمد بن عبد العزيز المسعدي الجراري .
9. */ الشيخ سيدي أبي الأنوار(1168هـ _ 1755م) بن عبد الكريم بن أحمد بن يوسف التنلاني، ولد سنة(1077 هـ _ 1666م)بزاوية تنلان، و توفي سنة . (1168هـ _ 1755م) وقيل سنة (1158هـ _ 1745م).

---

[1] القصيدة موجودة بخزانة باعبد الله أدرار ، وقد طبعتها أخيراً مكتبة المعارف بتيميمون . كما قام الشيخ محمد بن عبد الرحمان بن باعومر التنلاني بشرحها وهو كتاب مطبوع أيضاً يحمل عنوان ، والمورد العنبري لمعاني العبقري.

[2] هو عبد الرحمان الأخضري ، عاش في القرن العاشر الهجري ، له عدة مؤلفات منها: منظومة الجوهر المكنون في الثلاثة فنون ، والمختصر في العبادات على مذهب الإمام مالك ، نشر له في الجزائر سنة 1324هـ وهو الذي نظم منه مُحمد بن أُبّ باب السهو في الصلاة . (معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، وعادل نويهض، ص90، ط1 ، 1981 م).

[3] المخطوط موجود بخزانة المطارفة.

10. */الشيخ سيدي عبد الرحمان(1189هـ _ 1775م) بن عمر التنلاني.توفي بمصر أثناء عودته من الحج.من آثاره الفقهية المخطوطة : مخطوط مختصر النوادر في الفقه . بالإضافة إلى تقييدات فقهية مختلفة .

11. */ الشيخ سيدي عبد الرحمان(1209هـ _ 1795م) [1] بن الشيخ سيدي أمحمد بن أحمد الأنصاري الخزرجى.أخذ عن الشيخ سيدي أحمد بيوسف ، وعن الشيخ سيدي أمحمد الونقالي . انتقل الشيخ سيدي عبد الرحمان من زاجلو إلى أنزجمير سنة (1169هـ _ 1756م) ، وكان بذلك أول العائلة الأنصارية الخزرجية دخولا لقصر أنزجمير . و أسس به مدرسته الدينية في القصر الفوقاني . عرف الشيخ سيدي عبد الرحمان بكثرة مطالعته للكتب ونسخها وينسب له في ذلك عشرات المخطوطات المنسوخة بخط يده منها : كتاب القاموس المحيط ، وكتاب التسهيل ، وكتاب الفريدة وشرحها ، وكتاب الكافية وغيرها . وهي عوامل كلها ساعدته على تأسيس خزانة للمخطوطات بقصر أنزجمير هي إلى الآن من أكبر خزائن المخطوطات بالإقليم كمّا ونوعية .من مؤلفاته الفقهية : قصيدة (شبكة القناص لما حوته درة الغواص) للشيخ سيدي عبد الرحمان بن محمد بن يوسف التي ضمنها ألغازا فقهية وأجوبة عليها وسار بها من بدايتها على طريقة السؤال والجواب .وعددها في ما يزيد على الألف وسبعمائة بيت شعري (1700)حيث قال في مطلعها :

يقول راجي رحمة وغفران □ أسير ذنبه عبيد الرحمان
ابن محمد هو ابن أحمد □ وفقه الله بكل مقصد

12. */ الشيخ سيدي أحمد (1245هـ _ 1829م) زروق بن صابر البداوي الجعفري .أخذ عن الشيخ سيدي أمحمد الونقالي وعن الشيخ سيدي محمد بن أحميد الزجلاوي .سافر لفاس وأخذ عن علماء أجلاء منهم الشيخ التاودي. تولى القضاء بفاس وبإقليم توات .له أيضا العديد من التقييدات الفقهية المخطوطة.

13. */ الشيخ سيدي عبد الله (1261هـ _ 1845م) بن سيدي محمد عبد الله بن سيدي عبد الكريم الحاجب . من آثاره : شرح على ابن جماعة ، وحاشية على مختصر فقهي ،إضافة إلى تقاييد فقهية مختلفة .

14. */ الشيخ سيدي حمزة بن الحاج أحمد القبلاوي (1335هـ1917) الذي كان كانت تأتيه الفتاوى والأسئلة من عموم الصحراء الكبرى ،وكان يفتي بمشهور مذهب مالك ،ويراجع غيره من المذاهب.

15. وقبل هذه الفترة أيضا ظهرت لنا أكبر مدونة فقهية نوازلية في أصول المذهب المالكي وفروعه بالإقليم التواتي قاطبة وأعني بها مجموعة المسائل الفقهية التي اصطلح على تسميتها ب :غنية المقتصد السائل فيما وقع بتوات من القضايا والمسائل والمؤلف واحد من أهم وأضخم المخطوطات التي استطاعت أن تجمع أكبر قدر من النوازل والفتاوى الفقهية التي حلت بأقاليم توات جنوب الجزائر ، وتدخل فيها كبار العلماء والفقهاء من الإقليم من أمثال : الشيخ سيدي عبد الرحمان بن باعومر (1189هـ _1775م)، والشيخ الزجلاوي(1212هـ _ 1797م)، والشيخ سيدي الحاج البلبالي(1244هـ _ 1829م) ،وابنه الشيخ الحاج عبد العزيز (1261هـ _ 1845م) ،

[1] ينظر : تقييدات مختلفة بخزانة الحاج محمد الشيخ أنزجمير ، وخزانة السيد عبد القادر نيكلو أدرار

وغيرهم كثير ، فجاء بذلك المخطوط جامعا بين دفتيه وفي ما يزيد عن السبعمائة صفحة من الحجم الكبير لكل ما وقع في هذه الأقاليم من القضايا والمسائل على مر العصور ، وقد بدأ جمعه أولا في مجلد وعنوان واحد الشيخ سيدي الحاج بن عبد الرحمان البلبالي ، ثم أكمل العمل بعد وفاته ابنه الشيخ سيدي عبد العزيز.ليكون ترتيبه بعد ذلك على يد الشيخ سيدي أحمد لحبيب بن أمحمد بن عبد الله بن إبراهيم البلبالي، ولا تكاد تخلو مكتبة من وجود نسخة من نسخه المتعددة في توات ، وقد وقفنا شخصيا على خمس نسخ منها . الأولى بخزانة البلبالين بقصر ملوكة غرب الولاية أدرار ، والثانية محفوظة بخزانة البكريين بتمنطيط جنوب الولاية ، والثالثة محفوظة بخزانة باعبد الله ضواحي المدينة أدرار حاليا ، والرابعة بخزانة المطارفة شمال الولاية ، والخامسة محفوظة حاليا بخزانة كوسام بأدرار .

ومخطوط الغنية وإضافة لأبعاده التاريخية و الاجتماعية و الاقتصادية التي طبعته في معظم مسائله إلا أن له أبعادا فقهية أولا وأخيرا ، حيث استطاع بذلك جامعوه أن يؤرخوا لنا لمرحلة هامة من تاريخ الإقليم التواتي خاصة والمجتمع العربي عامة ، واضعين إيانا في الوقت نفسه في صلب المنظومة الفقهية المالكية التي نظمت حياة الأفراد طيلة تلك الفترة

إن المتأمل بداية لمخطوط الغنية في اجتهاد منظريه من علماء الإقليم يجده مبنيا في أساسه على فكرة الشورى التي دفعت قاضي توات حينها الشيخ سيدي عبد الحق بن عبد الكريم (1) إلى تأسيس مجلس الشورى الذي انتدب له أربعة من كبار علماء وفقهاء الإقليم وقتها ، وكانت إجابتهم جميعا تدون في سجل خاص ومحفوظ عنده عرف بينهم ب"ديوان الشورى " أو "ديوان القضاء ". ومن الديوان نفسه كان القاضي الشيخ سيدي عبد الحق يستمد كل أحكامه القضائية في الفصل بين المتنازعين ، أو الرد على السائلين . وبعد عملية التبويب والترتيب التي خضعت لها تلك الأجوبة والمسائل جُمعت مجددا لتكون سجلا تاريخيا ومرجعا فقهيا هاما في تاريخ المذهب المالكي في الإقليم . حيث تحدثت لنا المخطوطة في هذا الباب عن كثير من القوانين المنظمة لأحكام النكاح وتوابعه (2)،والطلاق وما يتعلق به (3)، والخلع ومتطلباته (4)، ، وقوانين العدة (5)، ، والنفقات (6)، ، والحضانة (7)، والقسمة، و المواريث. (8)، وفي كل مرة كان المؤلف يتعرض لنازلة من هذه النوازل إلا ووقف أولا عند أهم الأحكام المنظمة لها شرعا من ولي وصداق وعدة وما إلى ذلك من القوانين والشروط الأساسية لكل مسألة .

وإلى هذا كله تضمنت المخطوطة في هذا الجزء الكثير من القوانين المسيرة لأنظمة البيوع وما شاكلها (9)، ،و قوانين القرض و الرهن (10)، وشروط الصلح (1)، ،و

1/ الشيخ سيدي عبد الحق(1210هـ) بن عبد الكريم بن البكري أخذ عن والده وعن الشيخ سيدي عبد الرحمان بن عمر ،. تولى القضاء بعد وفاة والده بأمر من عمه الشيخ سيدي محمد بن البكري سنة(1174هـ) . يقال أنه كان يجيد عدة لغات ولهجات محلية منها العربية والزناتية والترقية والبربرية . توفي يوم الإثنين مطلع شهر ذي القعدة سنة (1210هـ) من آثاره مجموعة من القصائد الأدبية ، وبعض الفتاوى المختلفة . ينظر ترجمته في : ومخطوط الدرة البهية .ص 101و127.

2 ينظر مخطوط الغنية ص 50 وما بعدها .

3 ينظر مخطوط الغنية ص40 وما بعدها وص 88 وما بعدها .

4 ينظر مخطوط الغنية ص 84 وما بعدها .

5 ينظر مخطوط الغنية ص 120 وما بعدها .

6 ينظر مخطوط الغنية ص 124 وما بعدها .

7 ينظر مخطوط الغنية ص 136 وما بعدها .

8 ينظر مخطوط الغنية ص 776 وما بعدها .

9 ينظر مخطوط الغنية ص32 وما بعدها ، وص 57 وما بعدها .

10 ينظر مخطوط الغنية ص 206 وما بعدها .

الضمان و الحجر،و الضرر،و الوديعة ، والرهن ،والإرفاق (2)، وكذا متطلبات الوكالة والإقرار، وقوانين الإيجار ،والحبس ، والحيازات ، وسائر العطايا (3) .وفي هذه المسائل القانونية جميعها لم يكن الفقيه والمفتي يكتفي بعرض النازلة وحلها فحسب ، بل كان يتعدى ذلك إلى الوقوف عند جملة من القوانين المنظمة لأي حكم وفقا لأصول وفروع المذهب المالكي السائد في الإقليم .فهو في باب البيوع مثلا يقدم النازلة بادئا كما وردت في نص سائلها ، ثم ينطلق من ذلك للتعريف بالبيع وأنواعه مثلا ، ثم أهم الأحكام القانونية التي تنظمه في هذه الأقاليم .

وإلى هذا جميعا يقف القارئ لهذه النوازل على جملة أخرى من الأحكام والمسائل المنطلقة من عمق المنظومة القانونية التي كانت تحكم الإقليم من ذلك أهم القوانين المتعلقة بمجال العقوبات مثل قوانين السرقة والزنا ، والغصب (4) وغيرها من أشكال الجريمة (5)التي كانت سائدة في الإقليم .كما نجد أيضا قضايا متعلقة بأحكام القانون التجاري مثل مسائل الشركة ،والإبراء والبيوع و الإجارة والإكراء ، ما شاكل ذلك (6)ويضاف إلى هذا أيضا عديد القوانين المتعلقة بقضايا الأحوال الشرعية كقضايا العتق والنذور وغيرها .

وبهذا كله وبغيره كثير استحق مخطوط غنية المقتصد السائل فإنه وبشهادة كثير من الدارسين شهادة أضخم عمل نوازلي مجموع في الفقه المالكي والذي أرخ لنا وقنّن لكثير من القضايا والمسائل التي نزلت بتوات ، وحكمت المجتمع خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين وما قبلهما ، كما أن هذه النوازل جميعها جاءت لتعطينا صورة واضحة عن ديوان الحكم في الإقليم ، الذي بُني أساسا على فكرة مجلس الشورى الرباعي – كما رأينا – وليكون هذا الديوان في توحيد آراء العلماء حوله ،واجتماعهم على الإجابة الواحدة فيه ،وجمعهم لكل ذلك في مخطوط واحد أعظم وأهم منظومة قانونية استطاعت أن تؤرخ لكثير من مراحل الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية وغيرها بالإقليم .

ومن ناحية المضمون فإن مخطوط الغنية قد وظف جملة من مصادر التشريع المالكي(7) المعروفة والمتداولة في أقاليمنا المغاربية على الأقل وقد فاقت الثلاثين مصدرا من مصادر التشريع والتأريخ العالميين نذكر من ذلك تمثيلا لا حصرا : كتاب الواضحة لأبي مروان الأندلسي (ت 238) ، ومدونة الإمام سحنون (ت240هـ) ، وكتاب الإسكندراني (ت269هـ)، والرسالة لأبي زيد القيرواني (ت 386هـ) ، وكتاب الإعلام بنوازل الأحكام للإمام ابن سهل (ت486هـ)، ونوازل ابن رشد (ت 520هـ) ، وكتاب النهاية والتمام في معرفة الوثائق والأحكام للقاضي أبي الحسن علي بن عبد الله الفاسي ، وكتاب مجالس المكناسي أو مجالس القضاة والحكام وغيرها من أمهات المصادر التشريعية والقانونية

لهذه الأسباب وغيرها كثير كانت الغنية ولا تزال في كثير من تقاطعاتها المعرفية واهتماماتها القانونية والتاريخية المشتركة مصدرا أساسيا من مصادر التشريع المالكي في أقاليم توات ،وما جاورها من بقية الأقاليم العربية والإسلامية ، وما كثرة نسخها التي لا تخلو

---

1 ينظر مخطوط الغنية ص 222 وما بعدها .
2 ينظر مخطوط الغنية ص 210 وما بعدها .
3 ينظر مخطوط الغنية ص 700 وما بعدها .
4 ينظر مخطوط الغنية ص 360 وما بعدها وص 718 وما بعدها .
5 ينظر مخطوط الغنية ص 718 وما بعدها .
6 ينظر مخطوط الغنية ص 138 وما بعدها وص 466وما بعدها .
7 ينظر: غنية المقتصد السائل فيما وقع في توات من القضايا والمسائل دراسة وإخراج أ محمد الدباغ وآخرون .ص 13 وما بعدها .وحدة بحث الجامعة الإفريقية أدرار /الجزائر .

خزانة منها رغم حجمها الكبير جدا من جهة ، وما تداولها بين علماء وطلبة المدارس والزوايا القرآنية وإلى الآن، إضافة إلى مرجعيتها التاريخية والتشريعية عند كثير من الكتاب والمؤرخين المحدثين من جهة أخرى إلا خير شاهد على ما نقول .

وبالرجوع إلى عصرنا الحالي فإن جهود علماء الإقليم في خدمة ونشر المذهب المالكي ظلت مستمرة ودائبة على نشاطها تدريسا وتأليفا حيث برز لنا في هذا المجال تحديدا عديد الشخصيات العلمية البارزة يأتي في مقدمتها شيخنا المغفور له الحاج محمد بلكبير(1421هـ2000م)(1) طيب الله ثراه ، وقبله شيخه الشيخ سيدي أحمد ديدي (1299هـ 1882م)(2) في مدرسته بتمنطيط ، وبعدهم كوكبة أخرى من رجال العلم الذين نهلوا من هذه المنابع الصافية ولا زال عطاؤهم الفقهي مستمرا حتى يومنا هذا من خلال مناراتهم العلمية ومدارسهم الخاصة المفتوحة أمام الجميع .

وبالحديث عن جهود ونشاط فقهاء توات في خدمة المذهب المالكي تأليفا في عصرنا الحديث فإن المتتبع هنا يسجل وبكل فخر واعتزاز محاولات الشيخين الجليلين المرحومين الشيخ مولاي أحمد الطاهري الإدريسي(1399هـ 1979 م) بسالي ، وتلميذه الشيخ محمد باي بالعالم (1430هـ _2009م) بأولف ،بما جسداه من دور ريادي وفعال من خلال نشاطهما التدريسي في مدرستيهما بسالي وأولف ترسيخا لأصول المذهب ودفاعا عنه أولا ، ثم بما خلفاه من مطبوعات فقهية مالكية متعددة ومتخصصة تيسيرا للمذهب ودعما لحضوره ونشره .وهو ما سنقف عنده تمثيلا من خلال هذه الوقفة الخاصة مع الرجلين .

ولد الشيخ سيدي مولاي أحمد الطاهري الإدريسي(3). بقرية أولاد عبد المولى من نواحي بوجمادة، في محافظة مراكش عام خمس وعشرين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية (1325هـ _ 1907م) .

توفي والده وهو في سن الخامسة من عمره وبعد ذلك كفله أخوه مولاي عبد الله بن عبد المعطي، الذي كان على درجة من العلم والمعرفة مما ساهم في تلقيه عددا من العلوم في سن مبكرة ، وتفقه خصوصا في مذهب الإمام مالك ، واطلع على أصوله وفروعه

وفي سنة ألف وثلاثمائة وستة وخمسين هجرية (1356هـ _ 1937م) على الأرجح خرج الشيخ مولاي أحمد من أرض شنقيط و تمبكتو التي زارهما متجها إلى أرض توات حيث حط الرحال أولا في قرية تاوريرت برقان ومنها إلى سالي ، التي وجد بها ضالته _كما قال _ و أسس بها مدرسته الشهيرة إلى الآن حيث يقول : " ساقتنا الأقدار إلى تلك الديار دون معرفة سابقة بيننا وبينهم وإنما هي من أحسن المصادفات فوجدنا فيهم أحسن الأهل ووجدت بها ضالتي المنشودة فاستقام بها لنا المقام وحسن العيش وأرغده في بذل غاية الجد والاجتهاد في التدريس آناء الليل وأطراف النهار، وتعليم أولاد المسلمين من كل الطبقات " (4)

---

1 هو الشيخ سيدي محمد بن الكبير بقصر لغمارة ببودة .انتقل إلى تمنطيط وأخذ عن الشيخ سيدي أحمد ديدي . أسس مدرسة قرآنية بداية في قصر تيميمون ،ثم إنتقل إلى وسط المدينة أدرار وأسس مدرسته الثانية سنة 1959م حيث تخرج منها مئات الطلبة والأئمة .توفي صبيحة الجمعة 16 جمادي الثانية عام 1421هـ الموافق ل : 15 سبتمبر 2000م .

2 هو الشيخ سيدي أحمد بن سيدي محمد المشهور بديدي ولد بتمنطيط عام (1299هـ 1882م) ،أخذ عن الشيخ الطالب محمد بن عبد الواحد، وعلى يد شقيقه سيد البكري .كانت له مدرسة قرآنية مشهورة بالإقليم .توفي عام (1370هـ 1951م). ينظر : النبذة ص 217.

3 ينظر ترجمته في : فتوحات ألا له الملك على النظم المسمى بأسهل السالك ، الشيخ مولاي أحمد الطاهري ج1، المطبعة العلاوية ، مستغانم، ط1، 1994، ص7.

4 مخطوط نسيم النفحات، الشيخ مولاي أحمد الطاهري .خزانة كوسام أدرار .

ولعل من أهم وقفات الشيخ التدريسية مع طلبته بعد تحفيظ القرآن وتفسيره هي الوقفة الفقهية المالكية الخاصة والتي كان يفتتحها على عادة علماء توات يوم الأربعاء (1)من أيام الأسبوع، على خلاف وقفة القرآن الكريم التي تكون يوم الأحد .

وقفة الشيخ الفقهية المالكية كان يحضرها عدد كبير من الطلبة والمحبين وكان الشيخ رحمه الله يقف فيها عند مختصر خليل شرحا وتفسيرا لينتقل بعدها إلى سائر الكتب الأخرى من شرح لألفية بن مالك، والعاصمية لابن العاصم في القضاء بشرحين والدرة البيضاء للأخضري في الفرائض، ونحو ذلك.

وخلال إقامته بتوات لم يقف الشيخ مولاي أحمد عند حدود مدرسته بسالي بل ظل يتردد على قصور توات قصرا قصرا من حدود عين صالح بتدكلت إلى حدود تبلكوزة بقورارة وكان يرافقه في رحلته تلك عدد غفير من طلبته النجباء تتبعهم في ذلك ألواحهم وأقلامهم وكراريسهم وجميع الأدوات اللازمة لهم (2).

وخلال هذه المسيرة الحافلة بالعطاء تخرج على يد الشيخ جملة من الطلبة الذين واصلوا مسيرة العطاء من بعده ،وأسسوا مدارسهم الدينية الخاصة ، وكان لهم بذلك عظيم الأثر في مسار الحركة الدينية داخل الإقليم خلال هذا القرن نذكر منهم تمثيلا لا حصرا :

- المرحوم الشيخ سيد الحبيب بلحبيب خليفته الثاني في قصر سالي و هو من أوائل الطلبة الذين التحقوا به في سالي له مدرسة دينية مشهورة في قصر تاسفاوت ، وله عديد الكتب الفقهية المخطوطة والمطبوعة توفي عام 1425هـ الموافق ل : 2004م

المرحوم الشيخ مولاي عمر الذهبي التيلوليني ، وهو الخليفته الأول على المدرسة في غياب الشيخ .

- المرحوم الشيخ السي محمد الرقاني المعروف بالفقيه ،شيخ الزاوية الرقانية توفي عام 1427هـ الموافق ل : 2006م.

- المرحوم الشيخ محمد باي بلعالم شيخ المدرسة الدينية بأولف ، وصاحب المؤلفات الغزيرة كما سيأتي .

- الشيخ الحاج عبد الرحمان حفصي ،والشيخ الحاج المختار بن أحمد البرماكي ، والشيخ الحاج الحسن بن الحاج الطيب التيليلاني الذي أسس زاويته ومدرسته بولاية البيض وهي إلى الآن منارة يهتدي بها عموم أبناء تلك الناحية وما جاورها . ومن التلاميذ نذكر أيضا : الشيخ الفقيه الحاج محمد بن الحاج أحمد البوحامدي المعروف بالنحوي ، وأخيه الحاج احمادو . والشيخ المرحوم لعبادي الإمام المفتي بولاية تمنراست، وكذلك المرحوم الشيخ الحاج عبد القادر بن السيد بن سالم أحد أحفاد الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي ، هذا دون أن ننسى تلميذه الأبر وابنه القائم على المدرسة الآن الشيخ مولاي عبد الله أطال الله في عمره .وكذلك الشيخ مولاي الحاج خليفة الشيخ سيد الحبيب على مدرسة تسفاوت الآن ،وكذلك الشيخ الحاج محمد بكاري شيخ المدرسة الدينية ببني مهلال بتيميمون. ، والشيخ الحاج عبد الكريم بلحبيب الجعفري شيخ المدرسة الدينية بقصر باحو بسالي. ،والشيخ سيدي محمد الحسن بن الحاج عبد السلام الجعفري شيخ المدرسة الدينية بغرداية.، والشيخ الحاج محمد حرمة شيخ المدرسة الدينية بقصر تازولت بلدية زاوية كنتة وغيرهم كثير .

---

1 جاء في مخطوط "رحلة الشيخ سيدي عبد الكريم بم محمد البكري(1042هـ) " منسوبا للشيخ المقري أن الفقه لما تشعبت طرقه واتسعت أقواله وروايته ناسب الابتداء به يوم الأربعاء لأن فيه لغات معدودة ،ولما كان الأحد ليست فيه إلا لغة واحدة ناسب أن يبتدئ فيه بالقرآن . .

2 فتوحات إلا له الملك، ، ص10-11.

توفي الشيخ مولاي أحمد بعد عمر زاخر بالعطاء في مدينة مراكش المغربية مسقط رأسه سنة(1399هـ 1979 م) وخلف لنا كتبا هامة في شتى العلوم وبخاصة منها الكتب الفقهية التي لم تخرج في عمومها عن رداء المذهب المالكي ونذكر له من ذلك تمثيلا مما وقفنا عليه مخطوطا في رفوف بعض خزائن الإقليم :

1- **المنح الربانية في الفتاوى الفقهية المالكية .**
2- **فتوحات الإله الملك على النظم المسمى بأسهل المسالك في أربعة أجزاء.**
3- **فتاوى عديدة في نوازل سديدة**
4- **العقد الجوهري شرح العبقري في سجود السهو.**
5- **نبذة في تحقيق الطلاق الثلاث في كلمة واحدة.**
6- **رسالة في الرد على ابن الهادي.**
7- **ألغاز في مسائل فقهية بعثها لاختبار طلبته ،**
8- **فتاوى فقهية مختلفة ردا على أسئلة،**
9- **النحلة في حلق اللحية الكلام.**
10- **رفع الحرج والملام عن أكل المال المشكوك بالحرام .**

وغيرها من الكتب والفتاوى العديدة التي نبعت في مجملها من صلب المنظومة الفقهية المالكية.

أما الشخصية الثانية التي كان لها الباع الطويل في ترسيخ ونشر المذهب المالكي بالإقليم خلال هذا القرن من خلاله مؤلفات الغزيرة في هذا الباب فهو تلميذ الشيخ مولاي أحمد الطاهري نفسه المرحوم الشيخ محمد باي بالعالم طيب الله ثراه .

ولد الشيخ باي بن محمد عبد القادر بن محمد بن المختار بن أحمد العالم عام (1930 م _ 1349م) في قرية (ساهل) من بلدية (اقبلي) بدائرة (أولف) بولاية (أدرار) بجنوب الجزائر. ترعرع الشيخ في أسرة علمية،و اتصل في سن مبكرة بالشيخين سيدي محمد بن عبد الرحمان بن المكي الذي حفظ عليه القرآن الكريم ، ثم الشيخ محمد عبد الكريم ،ليلتحق بعدها بركب الشيخ مولاي أحمد الطاهري بسالي ، وظل هناك قرابة السبع سنوات تشبع فيها بأصول المذهب المالكي إلى جانب جملة من العلوم الأخرى .وخلال هذه الفترة وما أعقبها تحصل الشيخ على عديد الإجازات في شتى العلوم منها إجازة شيخه مولاي أحمد ،وإجازة من الشيخ الحاج أحمد لحسن بأسانيد متعددة ،ثم إجازة من الشيخ السيد محمد العلوي المالكي .

توفي الشيخ باي رحمه الله صبيحة يوم الأحد 24 ربيع الثاني 1430هـ الموافق ل 19 أبريل 2009م مخلفا لنا زادا وفيرا من الكتب الفقهية وبخاصة في فقه الإمام مالك نذكر من ذلك :

01) زاد السالك شرح أسهل المسالك.(جزءان)
02) ملتقى الأدلة الأصلية والفرعية الموضحة للسالك على فتح الرحيم المالك (أربعة أجزاء
03) فتح الرحيم المالك في مذهب الإمام مالك (نظم يحتوي 2509 أبيات
04) الجواهر الكنزية نظم متن العزية.
05) الاستدلال بالكتاب والسنة النبوية شرح على نثر العزية ونظمها الجواهر الكنزية.
06) السبائك الإبريزية شرح على الجواهر الكنزية.
07) فتح الجواد على نظم العزية لابن باد
08) الكوكب الزهري نظم مختصر الأخضري.
09) الإشراق البدري شرح الكوكب الزهري.

10) المباحث الفكرية شرح على الأرجوزة البكرية.
11) أنوار الطريق لمن يريد حج البيت العتيق (مناسك)
12) إقامة الحجة بالدليل شرح على نظم ابن بادي على مهمات من مختصر خليل (أربعة أجزاء)
13) مرجع الفروع إلى التأصيل من الكتاب والسنة والإجماع الكفيل شرح نظم الشيخ خليفة بن حسن السوفي على مختصر خليل المسمى جواهر الإكليل (عشرة أجزاء .)

وله في أصول الفقه:

14) ركائز الوصول على منظومة العمريطي في علم الأصول.
15) ميسر الحصول شرح على سفينة الأصول.

الخـــاتمة:

بمثل هذه الأعمال الجليلة التي تركها الرجلان الشيخ مولاي أحمد الطاهري الإدريسي وتلميذه الشيخ محمد باي بالعالم ، ومن قبلهما جملة علماء توات المذكورين بدأ بالشيخ المغيلي في القرن التاسع الهجري ووصولا إلى الشيخ سيدي محمد بالكبير في القرن الحالي استطاع إقليم توات أن يواكب المسيرة الفقهية المالكية منذ ظهورها في الإقليم نشرا وترسيخا ، وتخرج على أيديهم في كل ذلك عشرات الطلبة والأئمة الذين تعج بهم الآن معظم مدارس ومساجد القطر الجزائري خاصة ، وكان بذلك فقه الإمام مالك رضي الله عنه حامي وحدة علماء وسكان الإقليم المذهبية وصمام أمان في وجه كل التيارات والانقسامات العقائدية والمذهبية التي طالت عديد الأقطار العربية والإسلامية .

المصادر والمراجع :

.

أولا : المخطوطة :

1. مخطوط ترجمة وجيزة لبعض علماء إقليم توات .
2. مخطوط تقييد حول دخول العلماء إلى إقليم توات.خزانة بن الوليد أدرار.
3. مخطوط تقاييد حول العائلة الأنصارية بتوات عند أحفاده بقصري زاجلو و أنزجمير.
4. مخطوط تقييد حول نسب الشيخ المغيلي في خزانة أحفاده بالإقليم.
5. مخطوط تقييدات مختلفة بخزانة الحاج محمد الشيخ أنزجمير ، وخزانة السيد عبد القادر نيكلو أدرار.
6. مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام . الشيخ البكري . خزانة تمنطيط
7. مخطوط الدرة البهية للشيخ الحاج محمد بكراوي . خزانة تمنطيط .
8. مخطوط الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية . محمد بن عبد القادر بن عمر التنلاني . خزانة قصر كوسام . ولاية أدرار .
9. مخطوط "رحلة الشيخ سيدي عبد الكريم بم محمد البكري. خزانة تمنطيط.أدرار.
10. مخطوط غنية المقتصد السائل فيما وقع في توات من القضايا والمسائل . خزانة باعبد الله أدرار
11. مخطوط مقدمة سيدي البكري بن سيدي عبد الكريم بن سيدي محمد على مخطوط شرح التلمسانية في الميراث لعلي بن يحي بن صالح . خزانة باعبد الله أدرار.
12. مخطوط نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات ، الشيخ مولاي أحمد الطاهري .خزانة كوسام أدرار.

ثانيا : المطبوعة :

13. أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة .د يحي بوعزيز . ط1/ 1995م دار الغرب الإسلامي
14. إقليم توات خلال القرنين 18 - 19 م . فرج محمود فرج .ديوان المطبوعات الجامعية .الجزائر 1977م .
15. الإمام المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية .مبروك مقدم .ط1 1422 هـ2002م.مؤسسة الجزائر كتاب تلمسان .
16. التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11 إلى القرن 14هـ /17م إلى 20م .الصديق الحاج أحمد . ط2003/1. الجزائر .
17. تاريخ السودان .تحقيق هوداس .مطبعة بردين .1898م
18. تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس.تحقيق هوداس و دلافوس.مطبعة بردين .باريس 1964 .
19. تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات من الأيالة السعيدة من قصور ووثائق أخرى. ، المطبعة الملكية الرباط ،1381 هـ ، 1962م.
20. الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي من 400هـ إلى 1100هـ . في عهد المماليك الإسلامية غانا ، مالي ،سنغاي ، التي قامت في غرب إفريقيا بين القرن 4هـ و11م .ص107 أ.د.أبو بكر إسماعيل ميقا.مكتبة دار التوبة .ط1.1417هـ 1997م.

21. الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات .ج1و2. الشيخ محمد باي بلعالم .ط 1 _ 2005م. دار هومة الجزائر .
22. سلسلة النواة في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات .ج1و2.الشيخ مولاي التهامي .ط1. مارس 2005.المطبعة الحديثة للفنون المطبعية .الجزائر .
23. فتوحات ألا له الملك على النظم المسمى بأسهل السالك ، الشيخ مولاي أحمد الطاهري ج1، المطبعة العلاوية ، مستغانم، ط1، 1994.
24. قطف الزهرات من أخبار علماء توات ، عبد العزيز سيدي عمر. مطبعة دار هومة، ط2 ، الجزائر 2002م.
25. معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، وعادل نويهض، ط1 ، 1981 م)
26. معجم مشاهير المغاربة.أبو عمران الشيخ وآخرون .جامعة الجزائر 1995م.
27. المورد العنبري لمعاني العبقري . الشيخ محمد بن عبد الرحمان بن باعومر التنلاني .
28. النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن 9هـ إلى القرن 14هـ. عبد الحميد بكري .ط1. 2005. دار الهدى الجزائر .
29. نيل الابتهاج بتطريز الديباج. للشيخ سيدي أحمد بن بابا التنبكتي . دار الكتب العلمية بيروت .